كلمة صاحب الغبطة رئيس أساقفة أثينا الجزيل الاحترام في استقبال قداسة البابا

أثينا، الجمعة ٤/أيار/٢٠٠١

صاحب القداسة بابا روما أهلاً وسهلاً بكم

نشعر بشرف خاص لأن رئيس الكنيسة الكاثوليكية أعرب عن رغبته في أن يزور رئيس الكنيسة الأرثوذكسية في اليونان خلال زيارة الحج إلى وطننا. إن هذا الحج بلا شك يؤثر بنا لأن مركز هذه الزيارة هو القديس بولس مؤسس كنيستنا. وقد وَضعت عظته إلى الأثينائيين أسس الهوية الروحية لكل الشعوب المسيحية وخاصة الأوروبية. وبهذه العظة أُعلنت لنا هبةُ الله، وخلاصُنا بيسوع المسيح. حقاً "لأنه ونحن بعد خطأة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيراً ونحن مبرّرون الآن بدمه نخلص به من الغضب لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى ونحن مصالحون نخلص بحياته".

لأول مرة في التاريخ يزور بابا روما أثينا، نحن سعداء بهذا الحدث لكنّ فرحنا يُظلِّله حدث انشقاقنا. إنّ أسباباً عقائدية وكنسية موجودةٌ منذ أكثر من ألف سنة تسمِّم هذا الجو وتعيق إيجاد الظروف المناسبة التي بها كان من الممكن أن تكون زيارتكم مثمرة وذات نتيجة. لقد رُفعت بالتأكيد الحرومات بنعمة الرب ولكن لم تُرفَع الأسباب التي سبّبتها، ورغم ذلك فكنيسة اليونان ترغب في أن توجّه إليكم بواسطتي كلام المحبة والحقيقة بعيداً عن المجاملات المعتادة لأنّها تؤمن أنّه فقط "مصدقين بمحبة" ومعترفين بأخطائنا يحقّ لنا أن نأمل بأنّنا سنصل إلى وحدة الإيمان.

صاحب القداسة

لسبب وجيه إذاً فإنّ جزءاً كبيراً من ملء كنيسة اليونان يعارض حضوركم رغم أنّ القديس مرقس الأفسسي عبّر عن تقليدنا وتوجّه في فرارا عام ١٤٣٨ إلى البابا افجانيوس الرابع قائلاً: "لا يحتمل الرأس يسوع المسيح الهنا أن يُرفَع منا رباط المحبة بشكل كامل (بالكلية)" ولكن رذل المعارضين لا يشكّل فضيلة وليس من الحكمة اسكات رأيهم.

ونرغب في أن نوضح ردّة فعل هذا الشعب لأن زيارتكم إلى مدينة أثينا تعمل كمحرّض "لاستعادة الذاكرة الكنسية للتجارب الجريحة من التصرف غير الأخوي من قبل العالم المسيحي في الغرب نحو الشعوب الأرثوذكسية طيلة فترة الألف الثانية بعد الانشقاق الكبير

(١٠٥٤). إنّ ردّات الفعل هذه لا تعبّر فقط عن الإدانة الواضحة لأعمال العنف غير المقبولة ضد الشعوب الأرثوذكسية التي تعاني منها، بل وعن مطالبة الضمير الأرثوذكسي باستحقاق للرفض الرسمي لكل أعمال الغرب المسيحي ضدّه، الأمر الذي كان بإمكانه أن يسهّل ويدفع روح حوار بنّاء في علاقاتنا الثنائية.

إنّ الشعب الأرثوذكسي اليوناني يعيش بشدّة أكثر من الشعوب الأرثوذكسية الأخرى هذه التجارب الجريحة في ضميره الكنسي وفي ذاكرته الوطنية لأن الجراح لا تزال تنزف. تلك التي سُبِّبت في جسمه النشيط كما هو معلوم للجميع من جراء هوس الصليبيين والافرنج التخريبي وكذلك من قبل النشاط غير القانوني للمتحدين اللاتين (Λατινική Ουνία) ومع ذلك فلم يسمع أي قول اعتذار حتّى الآن.

حقاً، في مرات كثيرة عبر التاريخ تأكّد شعبنا بمرارة أنّ كنيسة روما القوية رفضته في لحظات صعبة، وشعر مرات كثيرة أنّها مارست ضغطاً على ضميره الكنسي وأنّها ظلمته حتّى في قضاياه الوطنية. ولا فائدة الآن من ذكر أحداث إما تخص التاريخ أو لا تزال تكوّن تقرّحاً في جسم الكنيسة التاريخي كما على سبيل المثال مشكلة المتحدين (Ουνία) التي تشكّل مؤخّراً السبب الرئيسي لاعوجاج الحوار اللاهوتي بين الكاثوليك والأرثوذكس. لكن الأمر المهم هو أنّنا ننتظر من قبلكم قولاً جريئاً، ننتظر من شفاهكم قول أسقف مسيحي متوجّهاً إلى قلوبنا. وقولكم هذا يجب أن يضع الحجر الأساس الذي عليه سيُبنى التفاهم والمسامحة والمصالحة.

ولا شك فإنّ قولكم هذا الصريح سوف لن يحلّ بصورة أوتوماتيكية فوارقنا العقائدية والكنسية فهذا سيتحقّق بنعمة الله في الحوار اللاهوتي الصريح الذي يجري الآن بمعوقات خلال السنوات العشرين الأخيرة. ولكن الحوار بالحقيقة بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية يجب أن يستند إلى الإيمان الرسولي المشترك لكنيسة المجامع السبعة غير المنقسمة وفي تقليدنا الآبائي غير المنقطع. "فنطلب" مع أبينا القدّيس مرقس الأفسسي أن نعود ونصبو إلى ذاك الزمن الذي كنا فيه متحدين ونعترف بالشيء نفسه و لم يكن بيننا انشقاق.

في خلال مسيرتنا هذه المشتركة لدينا أمثال ساطعة إنهم المتوشحون بالله آبـــاء كنيســة الألفية الأولى في الشرق والغرب، الذين أضاؤوا وما زالوا يضيئون قولا وفعـــلا المســيرة الروحية للكنيسة في العالم، الذين أبرزوا أنفسهم ليس فقط مثالا ساطعا لتقديم المصلحـــة الكبرى لكنيسة الله على أي منفعة شخصية أو عالمية بل يكونون أيضا مقياسا ثابتا يتجاوز الزمن من أجل أن يؤكد باستمرار على العمل الصحيح للذاكرة الكنسية.

إن قداستكم إذ تمثل مسيرة الألفي سنة التاريخية للمسيحية الغربية تعرفون جيدا التقدمـــة الثمينة الكبيرة لآباء الكنيسة اليونانيين في الشرق في تكوين الميراث الروحي للعالم المسيحي في الغرب مثل أثناسيوس الكبير، باسيليوس الكبير، غريغوريوس اللاهوتي، يوحنا الذهـــبي الفم، كيرللس الاسكندري، ايريناوس لوغنوس، مكسيموس المعترف وآخريـــن الذيـــن بدونهم لكان تأسيس التقليد في الغرب صعبا أو مستحيلا وكما يستنتج هذا من إعـــلان المجمع الفاتيكاني الثاني أيضا ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ من علاقات الكنيســة الكاثوليكيــة مــع الكنيسة الأرثوذكسية. وهكذا فإن قداستكم في بيانكم الأخير "ut unum sint" اقـترحتم المواجهة اللاهوتية على أساس التقليد الآبائي وبصورة عامة الكنسي للألفية الأولى لجميـع الخلافات المسلمة والتي سببت انقطاع الاشتراك الكنسي.

إن قداستكم تعرفون جيدا أن الكنيسة الأرثوذكسية إذ تملك بثبات تقليد الألفيـــة الأولى المشترك تحيا سر التدبير الإلهي في المسيح بامتياز في سر الشكر الإلهـــي ليـــس كذكـــرى فحسب، بل وكظهور مستمر للروح القدس الذي يحفظ مؤسسة الكنيسة كلـــها فيـــها صدى صوت آباء الكنيسة الغربية مثل كبريانوس القرطاجي، امبروسيوس أسقف ميـــلان، اغسطينوس، ايبونوس ليوندوس الرومي، غريغوريوس الذالوغوس، مرتينوس المعترف بابـــا روما. (الصوت) الذي به تقوت شركة الإيمان في رباط المحبة. وإننا نتوق لكي نعـــود إلى هذه الوحدة ومن الآن فصاعدا نجتهد للمحافظة على وحدة الروح في رباط السلام لنصل جميعا للاعتراف بجسد واحد وروح واحد كما دعينا أيضا إلى رجاء دعوتنا الواحـد، رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله واحد وآب واحد للكل الذي على الكل وبـــالكل وفي جميعنا".

إننا نسعى بكل صدق ونرغب بأن نعمل ببركة الله لتكوين أوروبا المتحدة ونُحيِّي حدث اعترافكم بالنشاط الحضاري للقديسَين اليونانيَّين المكدونيين كيرللس وميثوديوس وقد حان الوقت لنعمل مشتركين بحيث نستقبل إخواننا السلاف وشعوب البلقان وكل الأرثوذكسيين الأوروبيين الآخرين وغيرهم وكذلك قبرص في حضن أوروبا المشتركة. وتجدر الاشارة إلى أنّه رغم كون جزيرة قبرص الرسولية ترزح منذ ربع قرن تحت التقسيم البربري، وهي ضحية لتطهير عرقي تعسّفي، وفيها قبور أموات وشهداء للحرية مجهولين، وقد خضعت لأعمال بربرية ونهب لآثارها المسيحية الجميلة لم تسمع حتّى الآن ولو تصريح عطف من قِبلكم أيها البابا صاحب القداسة رغم تدخلاتكم المستمرة و "الصائبة" من أجل شعوب أخرى في كوكبنا.

على كل حال، فقد حان الوقت أن ننسق مساعينا لكي تبقى أوروبا أرضاً مسيحية بعيداً عن الميول الملاحظة لتحويل دولها إلى دول ملحدة "etat laque" متنكرين لهويتهم المسيحية. قد آن الأوان للعمل من أجل أوروبا موحدة تحترم الأقليات وحرية كل شعب وتحافظ على الإيمان واللغة والثقافة والتقليد بقول وباختصار هويته الروحية.

وإذ نضع دائماً إرادة الله نصب أعيننا سنعمل ليس من أجل زيادة نفوذ الكنيسة الواحدة على الأخرى، ولا من أجل أن نعزز تفوقنا على مقاييس دنيوية غريبة عن روحانيتنا، بل لكي نكبح جماح شراهية الظلم ونخفف من آلام أبناء الله ونقدم لإنسان القرن الحادي والعشرين انجيل الحياة والنعمة والحرية الواحد، ونبرز رجاء الإيمان للإنسان المعاصر المغمور بالخيرات المادية والمنجزات التقنية، الذي مع ذلك هو متألم كثيراً من انعدام الرجاء والسلام الداخلي واليقين.

صاحب القداسة

نتمنى من عمق القلب أن يكون لكم في وطننا إقامة مباركة ونتمنى أيضاً أن تكون زيارتكم بداية تطورات إيجابية في القضية الكبيرة لاتحاد الجميع لمجد الله. آمين.